# المحاضرة10: النّثر في الأندلس –مضامين وأعلام–

تعدّدت فنون النّثر العربي في الأندلس، فتناول الأندلسيون ما كان معروفا في المشرق من خطب ورسائل ومناظرات ومقامات، وزادوا عليها بعض ما أمْلته ظروف حياتهم وبيئتهم.

**أولا: الرسالة:**

1.المراسلات الدّيوانية: تعتبر المراسلات الدّيوانية ذات المواضيع السياسية من أهم الموضوعات النثرية لاسيّما في فترة الإمارة الأموية، وذلك بالنّظر لشيوع الاضطرابات في أرجاء البلاد الأندلسية بين الحكام المستقلين بمدنهم ضمن الإمارة الأموية في الأندلس وبين الأمير الأموي ومن يحاول أن يستقل عن سلطانه استقلالا تاما، أو من يحاول أن يتسع في سلطانه المحلي على حساب السلطة الأموية المركزية في البلاد.

وبظهر أنّ معظم هذه المراسلات كانت تدور حول أوامر سياسية أو عسكرية يرسلها الأمير إلى عماله أو قواده في أرجاء الأندلس، كما كان لكل حاكم مستقل بمدينته مراسلات مع عماله حول شؤون الأمن والعمليات العسكرية.

نذكر من الرسائل رسالة بعثها وليد بن عبد الرحمن بن غانم رسالة إلى الأمير محمد يسأله فيها بأسلوب بسيط لطيف أن يقرّبه ويسند إليه بعض المناصب الكبيرة: «عَظُمت نعمة الأمير –أبقاه الله– عن الشّكر، وجلّت أياديه عن النّشر فمتى رُمْتُ شكر أدنى ما غمرني، وحمد أيسر ما اشتملَ عليّ تكاءدني الشّكر[1]، وعجز بي الجهد، ولست بمؤمل مع ذلك عن الاستفراغ في القول والاجتهاد في العمل، إذ لم أرهما يدوران إلاّ على نعمة أزلفت، ويقتصران إلاّ على زيادة انتُظرت، وأنا بهما مخيّم،

[1]-تكاءدني الشكر: صعب وشقّ.

وعليهما معوّل، والله النّاقل لعباده، بطاعتهم له، وشكرهم أياديه، من دار الشقوة إلى دار السّعادة ومن نصب العاجلة إلى راحة الآجلة»

ومن الكتّاب الّذين اشتهروا في القرن الرابع إلى غاية منتصف القرن الخامس هجري: ابن برد الأكبر، وعبد الملك بن إدريس الجزيري، وابن دراج القسطلي، وابن شهيد، وابن حيّان المؤرخ وابن زيدون وغيرهم.

2-الرسائل الإخوانيّة: وهي الرسائل الشخصية يعبّر فيها الكاتب عن قضايا خاصّة وأمور شخصيّة، أو تتعلق بشأن من شؤونه في علاقاته مع الأهل والأصدقاء ممن قرُب مكانه أو بعد مزاره، ويدخل في ذلك التّهاني، والعتاب، والاستعطاف، والاعتذار، والتّعازي، والشّكر، وما شابه ذلك من الموضوعات.

وفي هذا الموضوع نقرأ رسالة شكر للوزير الكاتب أبي عمر بن الباجي وهو من بلغاء الكتّاب في الأندلس، كتبها عن المقتدر بن هود ملك سرَقُسطة إلى ابن ذي النون ملط طليطلة يشكره فيها على إطلاق أبي مروان بن غصن الحجاري من السّجن: «كتابي –أيّدك الله– كتاب أعريته من ذكر الوداد، وعدلت فيه عن وصف الاعتقاد، خرقا لعادة المتودّدين، وصفحا عن طريق المتصنعين على أنّي علم الله في الصّدر المقدّم ممن يواليك، والرّعيل الأول ممن يتشيّع فيك، وأفردته بشكر يدك البيضاء، وحميد صنيعتك الغرّاء...» فقد دخل الكاتب دون مقدّمات في الموضوع وأطال الثّناء على ابن ذي النون، بلغة حسنة وعبارة قوية وحماسة قوية لذلك الصّنيع.

كما أدخل مؤرّخو الأدب في الرّسائل الإخوانيّة رسائل متبادلة بين الأدباء في ما بينهم، وبينهم وبين غيرهم أيضا سمّاها بعضهم بـ (الرسائل الزهرية) نجدها في كتاب (الذّخيرة) لابن بسّام، وفي كتاب (البديع في وصف الرّبيع) لأبي الوليد الحميري.

3-الرسائل الأدبيّة: أظهر الأديب الأندلسي براعة في تناول موضوعاته، وتلوينها، وصدرت رسائل أدبيّة تعالج جوانب ذات علاقة بالخصوصية الأندلسية مثل الرسائل الّتي تتخذ الجهاد والاستنفار للحرب، وتصوير معاركها العنيفة موضوعات لها. والرسائل الّتي تقال على لسان الأزهار والأنوار وما يخصّ الطّبيعة، والرّسائل الّتي يعتمد كاتبها فيها على عنصر الفكاهة والدّعابة، نذكر منها: رسالة التّوابع والزّوابع لابن شهيد، والرسالة الهزلية لابن زيدون، وطوق الحمامة لابن حزم..

**ثانيا: المقامة:**

دخلت المقامات الأندلس في أثناء الحركة الحياتية والثقافية المتبادلة بين الأندلس والمغرب من جهة والمشرق من جهة أخرى، ووصول مقامات بديع الزمان الهمذاني إليهم لم يحفز على إنشاء مقامات مماثلة تجري على النّهج الّذي سارت عليه، وإن كتبوا مقامات مقاربة، ومن هذه المقامات: مقامة أبي حفص عمر بن الشّهيد، ومقامة أبي محمد بن مالك القرطبي، والمقامات اللزومية للسرقسطي.

تحدّث الحارث بن همام أنّها عندما كان في منطقة من الريف، وقد ابتهج المشتغلون في الأرض بنزول الغيث وتوقع الموسم الوفير، وبينما كان مع أولئك الفلاحين إذ برز رجل رفع صوتا جهوريا لفت إليه الأنظار: «أيّها الجمع الأريض[2]، والسؤدد العريض، والنفر البيض، والنائل المستفيض، والهمم السامية، والحفائظ الذّائمة، والسّيوف الماضية، والليوث الضاربة... حقا إنّكم لقطب الرّجاء، ورحى الهيجاء، وكشف الغمّاء، وجلا العمى والعماء، أمّا والّذي كلأكم وأنبأ كلأكم[3]، ملأ بالخيرات ملأكم...»

وقد ظهرت الكثير من المقامات من ذلك مقامات لسان الدين بن الخطيب وتدور في الأكثر على الرحلات ووصف البلدان.

[2]-أرض فلان: صار خيرا متواضعا فهو أريض.
[3]-كلأ: رعا، والكلأ الثانية:عشب المرعى.

**ثالثا: أدب الرحلة:**

نشط التّأليف في فنّ الرّحلة، وتسجيل وقائع تلك الرّحلات، ومجرياتها، ولفتت رحلات الأندلسيين النّظر لبعد بلادهم عن المشرق، ووجود عنصر المخاطرة والمغامرة في خط سير الرحلة برا وبحرا، وممّا أثّر في نشاط الرّحلة:

-السّعي الحثيث من أنحاء الأرض لأداء فريضة الحج، وقصد المسجد النّبوي والمسجد الأقصى.

-الإغراب في الأرض مع جيوش الفتح.

-الرحلة في طلب العلوم المختلفة ولقاء العلماء والأخذ عنهم.

-روح المغامرة، وعقلية البحث والكشف والاستقصاء.

-اتّساع رقعة الدّولة العربيّة الإسلاميّة.

ومن الرّحلات القديمة الباقية رحلة ابن فضلان الّتي كانت سنة 309 هـ، كذلك رحلة البلوي (تاج المفرق بتحلية علماء المشرق)، رحلة ابن الحاج النّميري الغرناطي (فيض العباب وإفاضة قدّاح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب)...

**رابعا: الخطابة**

ازدهرت الخطابة في الأندلس بفعل الخصومات القبلية والعنصرية والسياسية فيما بين العرب أنفسهم، وفيما بينهم وبين البربر، ثم فيما بين السلطة الأموية في قرطبة والثّائرين عليها في الولايات، وبينها وبين المناطق الإسبانية المتاخمة على الثغور.

وأول خطبة أتانا خبرها هي خطبة طارق بن زياد قائد الفتح العربي للأندلس، والّتي يحثهم فيها على القتال، كما وصلتنا خطبة لا تتجاوز السطرين لموسى بن نصير حين حاصر حصنا من حصون شرق

الأندلس فلم يقدر عليه لحصانته فلما طال ذلك عليه نادى في الناس وقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيّها الناس إني متقدم أما الصّفوف، فإذا رأيتموني قد كبّرت وحملت فكبّروا واحملوا»

ومن الخطب الدّينية خطبة القاضي عياض الّتي يقول فيها: «أيها الناس، اسلكوا جواد الحقائق، واتركوا بنيان الطّرائق، ولا تغرنكم الدّنيا بكواذب المخارق، فإنّها كثيرة البوائق، جمة العوائق، كم أهلكت قبلكم الخلائق، وطوت من الفراعين والعمالق...»

وتعدّدت الخطب في الأندلس بتعدّد موضوعاتها.

ومن أشهر خطباء الأندلس: طارق بن زياد، عبد الرحمن الداخل، منذر بن سعيد البلوطي، القاضي عياض، لسان الدين بن الخطيب..

## أشهر كتّاب النّثر في الأندلس

ابن عبد ربه(ت 328هـ) له كتاب العقد الفريد، ابن شهيد (ت426هـ) له رسالة التوابع والزوابع، ابن حزم (ت 438هـ)، ابن زيدون (463هـ)، ابن بسّام، محمد بن عبد الغفور الكلاعي، ابن طفيل (ت581هـ)، أبو الحجاج بن محمد البلوي، ابن جبير، ابن الأبّار، لسان الدين بن الخطيب...

## المراجع:

-فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، حكمة علي الأوسي

-في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية

-أشكال الخطاب النثري الأندلسي، حسين علي الهنداوي